نورس للترجمة

نظرية الأفعال الاستراتيجية: العلاقة المختلّة

نشره موقع the strategy bridge

ترجمه من الانجليزية: محمود غزال. دققه: أحمد علي

كتبته: رايتشل رينولدز، 25 فبراير 2020

عن الكاتبة: رايتشل رينولز هي ضابطة في سلاح الجو الأمريكي، وهي حالياً طالبة في مركز دراسات الجو والفضاء المتقدمة بقاعدة ماكسويل الجوية في ألباما.

تنويه: تمتلئ لغة المقالة بالعبارات المنطقية والفلسفية، فينبغي قراءتها بتأني مع مراجعة الهوامش التوضيحية الخاصة بمركز نورس، والاستفادة من ترجمات وكتابات المركز السابقة عن المنظرين العسكريين المذكورين في المقال.

تم اعتماد كتاب عن الحرب لكلاوزفيتز ترجمة سليم شاكر الإمامي في ترجمة اقتباسات الكاتبة من الترجمة الإنكليزية لمايكل هوارد وبيتر بايت.

واعتُمدت أيضاً ترجمة مركز نورس للدراسات لكتاب فن الحرب لجوميني لترجمة اقتباسات الكاتبة.

تعريفات أساسية:

النظرية العسكرية أو نظرية الحرب: هي تحليل شامل لجميع جوانب الحرب، وأنماطها وهيكلها الداخلي، والعلاقات المتبادلة بين مكوناتها أو عناصرها المختلفة. كما أنها تُجَسّد العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمع وفيما بين المجتمعات، تلك العلاقات التي قد تخلق صراعا وتؤدي إلى الحرب. والنظرية العسكرية السليمة تشرح كيفية إجراء وكسب الحرب. وتشمل أيضا استخدام الجيوش للقوة لمنع اندلاع الحرب.[1]

الاستراتيجية: هي فن وعلم إعداد واستخدام القوة العسكرية حسب الحاجة في السلم والحرب، لتحقيق أقصى دعم ممكن للسياسات. وهذا التعريف ينحصر بحسب لغة المقال في الجانب العسكري فقط.[2]

مقدمة: السعي وراء الفعل المثالي

إن العلاقات تُلَمّح إلى التأثيرات، فتُوَجِه التفاعلات؛ وتُظهِر التحركات وتنتقل من مكان إلى آخر. وإن فحص الأفعال التي تتناسب بين الاستراتيجية والنظرية – تأثير أحدهما على الآخر - يمكن أن يوضّح طبيعة الأسماء وعلاقاتها. فهنا، دعونا نفكر في الأفعال ضمن جملة " الاستراتيجية [فعل] النظرية. "

فنقول: الاستراتيجية تسبق النظرية، والاستراتيجية تعلو على النظرية، والاستراتيجية تنتحل النظرية. عند الفحص الدقيق، فحتى أعمال المُنظّرين العسكريين الكلاسيكيين مثل (كلاوزفيتز، جوميني ، دوهيت ، وليدل هارت ، وآخرين) تتحدى العلاقة المثالية بين الاستراتيجية العسكرية والنظرية العسكرية، لصالح هذه النظريات المختلّة.

[1] من الموسوعة الحرة
[2] من كتاب تطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية، عبد الرحمن الشهري، ص132 بتصرف

من الناحية المثالية، الاستراتيجية تُسترشد من النظرية، كما كتب إيفريت دولمان في كتاب الاستراتيجية الخالصة (Pure Strategy[3]). وفي العلاقة المثالية، وكما في الطريقة العلمية المثالية أيضا، تبدأ النظرية العسكرية برصد ظواهر في الوجود، لِتُطَوِّر الأكاديميات العسكرية نظريات من خلال تعرّف الراصد المُتبصّر على الأنماط[4] والمنطق الاستنباطي[5] واختبار الفرضيات. ويقول كولين غراي إن النظرية "ليس لها إلا أن تُعلِّم"، لا أن تُوجِّه فعالياتنا [المقصود التوجيه المباش عند التخطيط والعمل في الميدان].[6] فالنظرية شارحةٌ؛ فهي تصف (describe) وتتنبأ؛ وتلاحظ؛ ومن النظرية تولد الاستراتيجية. أما الاستراتيجية فتوصي (prescribe)؛ وتخبر الممارسين بما يجب عليهم فعله. ويوضح دولمان أن الدورة التكرارية من المنطقَين الاستقرائي والاستنباطي تلخّص العلاقة المثالية، حيث تسترشد الاستراتيجية من النظرية.

بدلاً من ذلك، كما يلاحظ الاستراتيجي البحري الأصولي جوليان كوربيت، فالقادة غالبًا ما لا يثقون في النظرية لأن تطبيقها على الفور ليس عملياً.[7] فرغبة القادة في الحصول على إجابات واضحة وكتيبات إرشادية تضعف العلاقة بين النظرية والاستراتيجية. ونظرة فاحصةٌ في كتابات المؤلفين العسكريين الكلاسيكيين توضح هذا الواقع، بأنّ الاستراتيجية تسبق وتعلو وتنتحل النظرية.

[3] Everett C. Dolman, *Pure Strategy: Power and Principle in the Space and Information Age, Cass Series--Strategy and History* 6 (London: Frank Cass, 2005), 17.

[4] نورس: التعرف على الأنماط، أو تمييز الأنماط (pattern recognition)، وهي القدرة على التمييز والتعرف على كلٍ (نظام) معقدٍ مكون من عدّة عناصر منفصلة، فمثلاً ميز البشر فصل الصيف بما فيه من مجموعة الظواهر من ارتفاع درجات الحرارة وتركيز أشعة الشمس وغيرها. (التعريف من موقع الجمعية الأمريكية لعلم النفس بتصرف)

[5] نورس: هو انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا (المقدّمات) إلى قضية أخرى (النتيجة) وفق قواعد المنطق. وهو على عكس الاستقراء الذي ينتقل من النتيجة إلى المقدمات والذي سيُذكر لاحقاً في المقال. ومن باب التبسيط فالمُستنبِط يؤمن بوجود فصل الصيف، ويبحث عن الظواهر المناخية التي تدل على وجودها ويجمعها ويحللها ليثبت علمياً وجودها بعد أن كان يعتقد بها فقط، أما المستقرئ فيبدأ بالعكس من مجموعة الظواهر المناخية ويجمعها ليركب منها فكرة الصيف في ذهنه.

[6] Colin S. Gray, *The Strategy Bridge: Theory for Practice* (Oxford: Oxford University Press, 2010), 244.

[7] Julian Stafford Corbett, *Some Principles of Maritime Strategy* (Annapolis, Maryland: Naval Institute Press, 1988), 3-4.

الفعل الاستراتيجي (السبق): أن تأتي قبل

في كتابه الخالد (عن الحرب)، كتب كلاوزفيتز عن الأدلة والتحليل النقدي، وهي السمات المميزة للمنهج العلمي. وقلةٌ من المؤلفين ضاهوا تبجيله للنظرية العسكرية، ولكن حتى عرّاب الفكر العسكري البروسي يوضح أن الاستراتيجية تسبق النظرية.

يرتكز كلاوزفيتز على المبادئ التجريبية والعقلانية، لكنه يخرج عن سلم المنهج العلمي إلى النظرية فيما كتبه عن التحليل النقدي، قائلاً: "التحليل النقدي هو...تقييم... لجميع الوسائل الممكنة.. وليس بوسع المرء بعد كل شيء رفض طريقة ما، قبل أن يكون قادرًا على اقتراح بديل أفضل".[8] وفي فصلٍ من كتابه يروّج فيه لتطبيق الحقائق النظرية، يبالغ كلاوزفيتز في التشديد على الوسائل وقدرتها على إعطاء التعليمات. وهو يفعل ذلك لأنه "في فن الحرب تعدّ التجربة أفضل بكثيرٍ من أي عددٍ أو حجمٍ من الحقائق النظرية المجردة".[9] ويشير هذا التأكيد إلى أن التحليل النقدي يتعلق بإيجاد دليل على تفوّق استراتيجية ما على أخرى. وتحليل كلاوزفيتز هو في الأساس معركة للوسائل أكثر من كونه استنباطاً لاستراتيجية من نظريةٍ جديدةٍ. وفي العلاقة المثالية، حيث تسبق النظرية الاستراتيجية، لا تنجح الاستراتيجية إلا كنقدٍ للنظرية. وعلى العكس من ذلك، يعكس كلاوزفيتز هذا الترتيب، مشيرًا إلى أن نجاحات أو فشل الاستراتيجية هي التي تُنتِج النظرية.

علاوة على ذلك، يستمر أسلوبه في الجدل في تقديم الاستراتيجية قبل النظرية في المنطق العسكري. ويقوم كلاوزفيتز بتصنيف الأمثلة التاريخية، بالاعتماد بشكل كبير على نموذجين هما فريدريك العظيم ونابليون بونابرت. ومن معاركهم وحملاتهم، يستدل استقرائياً الأسباب والأفكار المشتركة. صحيحٌ أن الاستقراء ليس بالأمر المخالف

---

[8] عن الحرب، لكلاوزفيتز، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص220
[9] عن الحرب، لكلاوزفيتز، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص 225

للمنهج العلمي؛ لكن مع ذلك، فهو يخضع لتسلسلٍ معينٍ، وهذه نقطة أغفلها كلاوزفيتز. ففي العلاقة المثالية، يأتي الاستنباط من النظرية أولاً؛ ثمّ يأتي المنطق الاستقرائي من كل استراتيجية بمفردها في المرتبة الثانية. ويحدث أسلوب كلاوزفيتز في الجدل إقلاباً أكثر في العلاقة المثالية عندما يستدعي الطريقة الديالكتيكية. ففي بناء نظريته، يضع فكرتين متعارضتين - مثلاً الهجوم والدفاع - ضد بعضهما البعض عبر تساؤلٍ جدلي.[10] ويجادل بأن النظرية تنشأ من خطتين متعارضتين. فهل أيهما يفوز يصبح نظرية؟ تفترض العلاقة المثالية أن الاستراتيجية مبنية على النظرية، لكن أساليب الجدل ذاتها التي يستخدمها كلاوزفيتز تُناقِض نوعاً مختلفاً من العلاقات التي تنص على أنّ الاستراتيجية تأتي أولاً.[11]

مرة أخرى، في مناقشته للعبقرية العسكرية، يوجه كلاوزفيتز في نقاشه بأنّ الاستراتيجية قبل النظرية. ووفقًا لحكاية مشهورة عند الموسيقيين، تجادل طالب مع موزارت بأنه لم يكن من الصغر ليعجز عن كتابة سيمفونية وأن موزارت نفسه كان أصغر منه عندما ألف سيمفونيته الأولى. فأجاب موزارت ببساطة، "صحيح، لكن لم أضطر أبدًا إلى السؤال كيف".[12] يستحضر كلاوزفيتز هذا النوع من العبقرية، المجردة من الأساس النظري، لدى ذكر جنرالاته أصحاب "المواهب [الخاصة] في التفكير والمزاج"، سابقين بذلك مفهومي الاستبصار (أو الفطنةprevision) واللمحة الخاطفة (أو البصيرة العسكرية*coup-d'œil*)) لألفريد ثاير ماهان وجوميني.[13] ما الذي كان يعرفه هؤلاء

[10] كتاب عن الحرب، لكلاوفيتز، سليم شاكر الإمامي، ص731

[11] نورس: "الديالكتيك" أو الجدلية أو التناقضات هو مصطلح استُخدم لوصف طريقة المحاججة الفلسفية، وتتضمن نوعاً ما عملية تناقضِ بين أطرافٍ متضادّة. وهي موجودة منذ القدم، لكن الفيلسوف الألماني هيغل وضع شكلها الحديث والذي جعل من هذه محور تفسير السير التاريخي لعالم الفكر والواقع. وقد أكثر كلاوزفيتز من استخدامها في كتابه عن الحرب تأثراً به وقد كان معاصراً له. (من موقع الموسوعة الحرة، وموقع حكمة).

[12] Ian Page, "Mozart at 250: How to Explain a 10-Year-Old Talent for All Time," *The Guardian*, January 9, 2016.

[13] عن الحرب، لكلاوزفيتز، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص139-140، ص152
فن الحرب، لجوميني، ترجمة مركز نورس للدراسات، ص421
Alfred Thayer Mahan, *The Influence of Sea Power Upon History, 1660-1783* (New York: Dover Publications, 1987), 392.

الجنرالات العباقرة في لمحة؟ إنّهم كانوا يعرفون ماذا يفعلون. أي أن العبقرية تتعلق بمعرفة الاستراتيجية العسكرية وليس بمعرفة النظرية. ولو كانت النظرية حقًا هي الأولى في ذهن كلاوزفيتز، فلربما كان سيكتب عن النظرية التي يمكن أن يعرفها العبقري العسكري مسبقًا.

من خلال التطبيق لخطوات المنهج العلمي مخالفاً الترتيب المعهود؛ ومن خلال المضاربة بين الأمثلة التاريخية ضدّ بعضها البعض لاستنباط الحقائق النظرية البديهية؛ ومن خلال خلع ألقاب للجنرالات بالعبقرية في الاستراتيجية لا في النظرية، فإن كتاب (عن الحرب) يقوّض العلاقة المثالية بين النظرية والاستراتيجية. وبدلاً من ذلك، يشير إلى أن الاستراتيجية تسبق النظرية.

الفعل الاستراتيجي (العلو): أن تهيمن

يواصل جوميني ودوهيت تقويض العلاقة المثالية بين النظرية والاستراتيجية من خلال المبالغة في الترويج، والوصائية[14]، والبراغماتية[15]؛ ولقد أظهرا باستمرار أنه في الواقع، تعلو الاستراتيجية على النظرية.

يقتصر حدود ترويج جوميني على مهارات البيع الصريح أو المكشوف. فالإيجاز الشديد في كتيبه "الملحق ..." يوحي بطابعٍ جماليٍ دعائيٍ.[16] وكما ذكر "جون شي" معلقاً، فيبدو جوميني واثقًا من أن اكتشاف الحقيقة أقل طلباً من "تغليفها وتسويقها".[17] فما هي نية جوميني في البيع؟ يصر جوميني على أن أولئك "الذين يدركون بوضوح أهمية

[14] نورس: الوصائية يُقصد بها وصف ما ينبغي فعله، فهي ذراع البراغماتية (العملية)، وتقابل بالضد الوصفية، والتي تعني بوصف الشيء على حقيقته، وعُرف كلاوزفيتز في كتاباته العسكرية بعنايته بالثاني، على عكس جوميني ودوهيت اللذين مالا إلى الوصائية، فلا تهمهما نظرية الحرب وفهم ماهِيات الحرب أكثر من اهتمامها بما ينبغي فعله لكسب الحرب، في الوقت الذي عنى فيها كلاوزفيتز بالتساؤل عن حقيقة الحرب ونظريته.

[15] نورس: البراغماتية أو الذرائعية أو المذهب العملي هي فلسفة تعني بالكلمات والفكر كأدوات لحل المشكلات والعمل، وترفض فكرة أن وظيفة العقل وصف الواقع أو تمثيله لأنّه لا يمكن إدراك ماهيته الحقيقية. (من الموسوعة الحرة بتصرف)

[16] يقصد بملحق كتابه فن الحرب

[17] John Shy, "Jomini," in *Makers of Modern Strategy: From Machiavelli to the Nuclear Age*, edited by Peter Paret, Gordon Alexander Craig, and Felix Gilbert, 163 (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1986).

الحقائق [حقائقه] ... سينجحون في الحصول على بصيرة عسكرية سريعة ودقيقة"، لكن الحقائق التي يشير إليها -في كتابه فن الحرب الحاوي على 47 موضوعاً قيّماً - هي في الواقع استراتيجيات وليست نظريات.[18] إنه يتفاخر بأن أولئك الذين يشترون ويتبعون منهجيته ذات الرواج سوف يتقدمون في حياتهم المهنية العسكرية. بينما قصد كلاوزفيتز بوضوح وضع النظرية أولاً -بغض النظر عن نجاحه أو فشله - لا يظهر جوميني أي جهدٍ في محاولة إخفاء اعتقاده بأن الاستراتيجية تعلو على النظرية وذلك أن بضاعة الاستراتيجية رائجة.

ينبع تمجيد جوميني للاستراتيجية من واقعيته. فهو لا يطيق تجارب كلاوزفيتز الفكرية، ولا يخوض أي جدالاتٍ أفلاطونية، فما دامت الحرب حقيقية، فإن سهولة الاستخدام هي التي تحكم مواقفه. فيقول جوميني: "في العلوم العسكرية ... دراسة التفاصيل سهلة ... في الواقع هناك إحدى الحقائق من البساطة الرائعة ... في كل موقع قد يشغله الجنرال، عليه فقط أن يقرر ما إذا كان سيعمل نحو الميمنة، أو الميسرة، أو الأمام ".[19] فجوميني يظهر لك أنّه من السّهولة أن يضع استراتيجية أثناء اجتماع فريق كرة قدم أمريكية لاتخاذ خيارٍ عسكريٍ هجومي. فيميل جوميني للتطبيق العملي للاستراتيجية ويتجنب الجانب التجريدي النظري.

أما دوهيت فهو أيضًا يُخضِع النظرية للاستراتيجية، لكن وصائيته أكثر صراحة وجرأة. حيث أنه يفرض فرضاً وصائيته بالقصف الاستراتيجي عبر تقديم نبوءات سوداء كئيبة عن عالم يخلو من علاجه الجوي. وبأسلوب وعظيٍ ديني، يبشّر دوهيت بوصائيته على أنّها هي الخلاص. حتى أن دوهيت يذكر بأن: "هناك طريقة واحدة صالحة للدفاع عن

---

[18] فن الحرب، لجوميني، ترجمة مركز نورس للدراسات، ص 427
[19] فن الحرب، لجوميني، ترجمة مركز نورس للدراسات، ص412، ص 421-422

النفس من الهجمات الجوية." وعصيان قوانينه لا يمكن أن يؤدي إلا إلى "أداء غير إنساني، فظيع، ... وهذه هي الحقائق."[02] وبالنسبة لدوهيت، تعلو القيمة الوصائية للاستراتيجيات على قيمة الوصف أو التنبؤ الذي تقدمه النظرية.

إن مهارة جوميني ودوهيت في التسويق والترويج، وعقيدة الخلاص بالوصائيات، وتفانيهما الشديد في التطبيق العملي، تجعل كتبهما شائعة القراءة. والأهم من ذلك كله، أن هذه الكتب تؤكد أن: الاستراتيجية تعلو أو تهيمن على النظرية.

الفعل الاستراتيجي (الانتحال، أو الخلط): تقمص صفة

بتسبيق الاستراتيجية على النظرية، والتأكيد على علو الأولى على الثانية، تصبح النظرية أشبه بالنقيصة، لكن يبقى الانتحال (أو الخلط) نقيصةً أخرى من نوعٍ مختلف تمامًا. فلا شيء أكثر خطورةً لقيمة النظرية وترشيدها لطريقة الحرب من انتحال الاستراتيجية صورةَ نظرية. يخطئ دولمان في اقتباسه من كتابه قائلاً: "إنّه من باب التحقيق في الحقائق الأساسية للاستراتيجية أن يكون من الأنسب تسمية الاستراتيجية الخالصة بفلسفة الاستراتيجية"، فقد أخطأ في تسمية استخلاص الحقائق التأسيسية بـ "الاستراتيجية".[12] فالحقائق توضح الماهيات، أما الاستراتيجيات فتترجم الماهيات إلى الخطة لما يجب القيام به. وفي حين أن هذا المفهوم دقيقٌ على وجه التفريق، إلا أنه ضروريٌ للعلاقة المثالية بين النظرية والاستراتيجية. فأحدهما يصف والأخر يعطي توصيات. أما بتقليل شأن النظرية، فإن دولمان (إذا ما تحفظنا في العبارة) بأحسن الأحوال فشل في إعطاء النظرية التمييز الذي تستحقه. ومن ناحيةٍ أخرى، فشل ليدل

---

[20] Giulio Douhet, *The Command of the Air*, 1921st, Reprint ed. (Tuscaloosa, Alabama: The University of Alabama Press, 2009), 185, 191.

[21] Everett C. Dolman, *Pure Strategy: Power and Principle in the Space and Information Age*, Cass Series--Strategy and History 6 (London: Frank Cass, 2005), 187.

هارت في نقاشه حول الاستراتيجية الكبرى وعلم الحرب ومبادئ الحرب فشلاً كبيراً. فقد رفع ليدل هارت الاستراتيجية رفعاً متكلفاً وعرضها كنظرية.

فأولاً، يتعامل ليدل هارت مع الإستراتيجية الكبرى كما لو كانت نظرية. فيكتب عن التأثير المسيطر للاستراتيجية الكبرى على الاستراتيجية، حيث أكد بشدة على اشتقاق الاستراتيجيات من بعضها البعض وقوّض العلاقة بين النظرية والاستراتيجية، فكتب قائلاً: "الاستراتيجية هي تطبيقٌ على مستوى أدنى من الإستراتيجية الكبرى "، حيث يضع الإستراتيجية الكبرى في دور النظرية وعلى قدم المساواة معها.[22] فعندما تنبثق الاستراتيجية "ب" من الاستراتيجية "أ" ، وعندما تكون الاستراتيجية "أ" مشبعة بالرؤية والتمييز المخصصين على النحو المثالي للنظرية، فإن الاستراتيجية "ب" معرضة لخطر عدم اطلاعها على النظرية. والاستراتيجية "أ" في خطر أن تكون محتالةً.

علاوة على ذلك، فإن إساءة استخدام ليدل هارت لمبادئ العلم في الحرب تكشف عن كيفية قيام الاستراتيجية بانتحال النظرية. ويلمّح ليدل هارت إلى وجهة نظره حول المنهجية العلمية عندما يصف نظرية كلاوزفيتز بأنها "انجرفت انجرافاً زائداً بما لديه من شغفٍ بالمنطق الخالص."[32] ونظراً لازدرائه "الاستدلال المجرد"، تجنّب ليدل هارت إحدى أهم خصائص النظرية، وهي أنّها قابلة للدحض (التخطئة).[42] ثم يفشل بعد ذلك في أن يضع في دراسة جداله فرضية العدم، والتي تعتبر مهمة في الفلسفة كما هي في العلم التجريبي. وجادل ليدل هارت دفاعاً عن المقاربة غير المباشرة في الحرب، ولكن عند اختباره بأمثلة من التاريخ، فإنه لا يقيّم العدمية تقييماً كاملاً: وهو أن الحروب التي خيضت بالمقاربة غير المباشرة لم تكن أكثر (أو أقل) نجاحًا من تلك التي خيضت بالمقاربة

[22] Basil Henry Liddell Hart, *Strategy*, 2nd rev. ed (New York: Meridian, 1991), 319, 322, 353.
[23] Basil Henry Liddell Hart, *Strategy*, 2nd rev. ed (New York: Meridian, 1991), 341.
[24] Basil Henry Liddell Hart, *Strategy*, 2nd rev. ed (New York: Meridian, 1991), 341-2.

المباشرة.[25] ويؤكد هذا الفشل افتقار ليدل هارت لمنهجية علمية لما يسميه النظرية. ويبدو أنه الأكثر ازدراءً لعلم النظرية العسكرية عندما يسخر من أن كلاوزفيتز كان مجرد "مفكرٌ مُنظِّم، وليس مفكرًا مبدعًا أو ديناميكيًا."[26] ما علاقة استهزاء ليدل هارت الواضح بالعلم في الحرب مع الخلط بين الاستراتيجية والنظرية؟ تستند النظرية فلسفيًا إلى قابلية الدحض، والفرضية العدمية، والنتائج المقننة بشكل منهجي. وما يطرحه ليدل هارت، من أن الاستراتيجية توصي بالمقاربة غير المباشرة، يعامله معاملة النظرية. ويدعي أنها مستمدة من أدلة سليمة، لكن منطقه لا يستوفي معايير الإثبات.

مع ذلك، فإن ليدل هارت يقدّر من مكانة العلم التجريبي. وعبر إرساء المبادئ والقوانين والبديهيات والاجتهادات والحقائق الأساسية، يُظهر هو وغيره من المؤلفين العسكريين الكلاسيكيين ميلهم للارتقاء بالاستراتيجية إلى مستوى النظرية. ويفعلون ذلك عبر إضفاء أسماء لامعة وعلمية على وصاياهم. فمثلاً، هل وصل كولين غراي إلى أعلى مستوىً أكاديمي فقط لنشره 21 قاعدة هي في جذورها وصائية؟ حتى أنه أعطاهم اسمًا - 21 رأياً - ليضعهم في مستوى واحدٍ مع القانون العلمي والنظرية.[27] وبالمثل، ففي نفس الوقت الذي يقول فيه جون كوتسوورث سليزور : "إن غالبية ما يسمى بمبادئ الحرب ليست مبادئ على الإطلاق"، فإنّه يضيف (مناقضاً نفسه) ليقول: "ولكن هناك ثلاثة قواعد أساسية عظيمة تستحق حقًا تسمية المبادئ"، على أنّها مبادئ موجودة في لوائح الخدمة الميدانية.[28] وعلى الأقل فهو يعترف بأن قواعده متخفية على شكل مبادئ، وهو تمييز فَشِلَ ليدل هارت في القيام

[25] Basil Henry Liddell Hart, *Strategy*, 2nd rev. ed (New York: Meridian, 1991), 5.
نورس: ويُقصد بفرضية العدم الفرضية التي تتبنى عدم وجود علاقة أو فرق ذي دلالة إحصائية بين متغيرين أو أكثر من متغيرات الدراسة. وفي الكلام المعروض هنا يُقصد بأن ليدل هارت لم يعمل على مقارنة فرق النجاحات بين المقاربات المباشرة وغير المباشرة، بل اكتفى في بحثه الشهير في كتاب الاستراتيجية (الذي تُرجمت للعربية طبعات قديمة منه تحت اسم "معارك التاريخ الحاسمة" و"الاستراتيجية وتاريخها في العالم" بالمقارنة بين عدد المقاربات المباشرة والمقاربات غير المباشرة التي طُبِّقت في عينة الحروب التي درسها.

[26] Basil Henry Liddell Hart, *Strategy*, 2nd rev. ed (New York: Meridian, 1991), 340.

[27] Colin S. Gray, The Strategy Bridge: Theory for Practice (Oxford: Oxford University Press, 2010), 26

[28] John Cotesworth Slessor, *Air Power and Armies* (Tuscaloosa, Alabama: The University of Alabama Press, 2009), 62.

بِه. أما بديهيات ليدل هارت - سميت للدلالة على الرياضيات البحتة - فمكتوبةٌ بضمير المخاطب.[92] فهؤلاء الكُتَّاب يتحكمون بالعبارات كيفما شاءوا. ومع ذلك، فإن ليدل هارت، بِنَسبِها لليقينات البديهية، فإنّه يعطيها انطباع النظرية.

هناك فكرة رئيسية مبثوثة عبر كتاب ليدل هارت: الاستراتيجية تساوي النظرية أو تحل محلها؛ فهي في الحقيقة نظرية (بالنسبة إليه). وفي فكرة ليدل هارت، تنتحل الاستراتيجية النظرية.

الخلاصة: علاقة الاختلال

السؤال القديم عن أيهما الأول، الدجاجة أو البيضة، له إجابة علمية: فقد جاءت البيضة في المرتبة أولاً بنحو مليار سنة. ومن الناحية المثالية، ينطبق الشيء نفسه على الاستراتيجية والنظرية، فالنظرية تأتي أولا، وتنقل المعلومات للاستراتيجية، والاستراتيجيات تُشتق من النظرية عبر الاستنباط. ومع تطوير المزيد من الاستراتيجيات، يمكن أن يؤدي الاستقراء إلى نظرية جديدة في حلقة تكرارية. وعندما يخلط المفكرون الاستراتيجيون الاستراتيجية بالنظرية أو يعطونها الأسبقية على النظرية، تصبح العلاقة غير فعالة، وتصبح النظرية خادمة الاستراتيجية. وبدون استراتيجية، ليس هناك من يخبر النظرية بأخطائها. وبدون نظرية متوازنة، لا بد أن تصبح الاستراتيجية عوجاء. ولحسن الحظ، يختار الاستراتيجيون القراءة لمؤلفين ليس للتركيز على حقائقهم المقدسة غير القابلة للتغير، ولكن للنظر أبعد من أكتافهم [أي للاستدراك عليهم]. بصفتنا استراتيجيون، يمكننا أن نبدأ بمشاهدة الكلمات البينية التي تربط النظرية والاستراتيجية ربطاً صحيحاً، ويجب أن تُرشِد النظرية الاستراتيجية. ولا يجب على الاستراتيجية أبدًا أن تسبق النظرية أو تعلو عليها أو تنتحلها.

[29] Basil Henry Liddell Hart, *Strategy*, 2nd rev. ed (New York: Meridian, 1991), 335-6.